

مصر وفارس



إعداد: هشام الجبالي



موسوعة التاريخ والحضارة

YF
9

V

مرحباً بأصدقائى فى كل بقعة من أرض مصر،
أسمى «نيل» وُجِدَتْ منذ أن شق النهر مجراه فى أرضنا فجلب
لها الخصب والنماء، عشت كل هذه القرون بينكم أصحاب أجدادكم
القدماء فى رحلات البناء الطويلة، وأرافق أباءكم فى مسيرة العمل
من أجل رقى مصر وتقدمها، أشاركهم أحزانهم وأسى لهزائمهم،
أسعد بإنجازاتهم وأشيد بانتصاراتهم، أعشق كل ما هو مصرى
فأطوف بأرجاء البلاد شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، أبحث عن كل
جديد، عن كل بناء وتقدم، أقضى النهار أبحث أبنائها على بذل
المزيد من الجهد، وأمسى لأحلم لها بغد أكثر إشراقاً ومستقبلاً يملأه
الرقى والتحضر، أعتدت أن أصحاب الشيخ كثير النشاط والحركة
«تاريخ» كلما جاء لزيارة أرضنا، أقص عليه أخبارها وأقدم له
المساعدة ليسجل لها فى أوراقه جهد أبنائها وشموخ حضارتها،
لهذا ستجدونى معكم عبر حكايات «تاريخ» وحوادث مصر
وأخبارها.



موسوعة تاريخ مصر

المحرر : هشام الجبالى

الجمع التصويرى : المكتب العربى للمعارف

الإخراج : المكتب العربى للمعارف

رقم الإيداع : ١٩٩٤/٥٤٤١

الترقيم الدولى : I.S.B.N:977-276-018-5

الرسوم الداخلية : علاء حجازى

هانى طه - إيهاب وصفى

المراجعة اللغوية : شوقى ميكل

مؤلفات وفارسي

مصر وفارس



THECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية

إعداد: هشام الخياط
كتب عربي

٧٥٤

التسجيل



THECA ALEXANDRINA

مكتبة الاسكندرية

استطاع ملوك إقليم النوبة أن يخلّصوا
البلاد من فوضى الأمراء الليبيين،
ليؤسّسوا الأسرة الخامسة والعشرين،
هذه الأسرة التي حاولت جاهدة أن
تستعيد أمجاد الفراعنة العظام وتبعث
إلى الوجود رفعة مكانة مصر وبهاء
حضارتها من جديد قبل أن تتحطّم
أمالهم وينتهى حكمهم بهزيمتهم أمام
جيوش الإمبراطورية الآشورية،
ومضينا بعد كلّ ذلك نستمع إلى
أخبار بسمتك الأول ذلك الملك العظيم

مُضِينًا معًا عِبْرَ حكايا رحلاتي
السابقة نتجول بين حوادث وأخبار
أجدادكم القدماء، توقّفنا أمام حضارة
بناة الأهرامات وأمجاد الفراعنة في
عصرهم الذهبي، وقرأنا من أوراقى
الكثير عن انتصارات أحمس وفتوحات
تحتمس الثالث وجهود رمسيس الثانى
ورمسيس الثالث على طريق المحافظة
على سلامة الإمبراطورية المصرية
التي أسّس دعائمها فراعنة الأسرة
الثامنة عشرة، ورأينا كيف كان ضياع

هذه الإمبراطورية بين
ضعف آخر فراعنة الأسرة
العشرين وصراع فراعنة
الأسرة الواحدة والعشرين
وكهنة طيبة حول الحكم
والسلطان، وكيف سقطت
دولة الفراعنة بتسلط أمراء
الجند الليبيين على أرضها
وسيطرتهم على شئون
مقاطعاتها، ثم كيف



قلادة ذهبية خاصة بأحد ملوك الأسرة ٢١



الذى تمكن من نزع قيود الاحتلال
الآشوري، ليؤسس الأسرة السادسة
والعشرين عازماً على تحقيق ما أخفق
ملوك النوبة من قبله فى إتمام تحقيقه،
وفى عهد الملك نيخاو ثانى ملوك هذه
الأسرة كانت آخر رحلاته السابقة
إلى بلادكم عام ٦٠٠ قبل الميلاد،
واليوم هانذا أعود إليكم من جديد
لنستكمل معاً المضى عبر حكايا
مصر وأخبارها.

كانت رحلتى التالية إلى بلادكم عام
٤٠٤ قبل الميلاد، عدت إليها بعدما
أمضيت بعيداً عن أرضها ما يقرب من
مائتى عام قضيتها ما بين غرب العالم
وشرقه، أقضى بعض أوقاتي فى
الغرب على الساحل الشمالى للبحر
المتوسط أراقب نهضة بلاد اليونان
وسيرها صوب التقدم والقوة بخطوات

سريعة منتظمة، وأتوقف في طريقي
إلى الشرق على ضفاف نهر الفرات
أرى سقوطاً إمبراطورية آشور
وسيطرة بابل على جزء كبير من
أملك ومكانة هذه الإمبراطورية
المنهارة، وفي الشرق أقضى أغلب
أوقاتي أتابع كل ما يدور
في فارس هذه المملكة
العظيمة التي بدأت
نهضتها منذ أوائل القرن
السابع قبل الميلاد، فما
لَبِثْتُ أَنْ تَحَوَّلَتْ مِنْ
مجموعة قبائل تنتشر بين
السهول والوديان الواقعة
جنوب غربي الهضبة
الفارسية^(١) إلى دولة تحيا

حياة الاستقرار والتنظيم، ثم إلى
طوفان قوى يطغى على كل ما حوله
من بلدان وممالك، حتى صارت
الإمبراطورية الفارسية أكبر

(١) دولة إيران الحالية.

إمبراطورية شاهدها العالم حتى
اليوم.

لم تَكُنْ مصرُ بعيدةً عن ذلك
الطوفان، ولكنى لم أكن أعلم الكثير
عما جرى على أرضها خلال صراعها
مع إمبراطورية فارس، لذلك ما إن
قدمتُ إلى الدلتا
وعلمتُ بوجود «نيل»
حتى توقفتُ أمام
أكوام من الأسلحة قد
تكدست في كل أرجاء
المنزل أتساءل: ما كل
هذه الأسلحة يا «نيل»؟
وما الذى أتى بها إلى
منزلك؟!



فقال: ستعلم كل
شئ يا أبتى، ولكن دعنا الآن نذهب
إلى قصر أمون حر ملك مصر الجديد
لنشارك في احتفالات البلاد
بانتصارات جيوشها وتحرير أرضها.
فقلت له: لن أدعك تخرج من هنا



إتاء على شكل «زمزية» عصر ملوك سائس

قَبْلَ أَنْ تَقْصُ عَلَى جَمِيعِ مَا جَرَى مِنْذُ
عَهْدِ الْمَلِكِ نِيخَاوُ وَحَتَّى عَهْدِ ذَلِكَ الْمَلِكِ
أَمُونِ حِرْ.

فَأَشَارَ إِلَى الْجُلُوسِ، ثُمَّ رَاحَ
يَتَحَدَّثُ قَائِلًا: كَانَتْ مِصْرُ قَدْ دَخَلَتْ
مَعَ بَدَايَةِ عَهْدِ الْأَسْرَةِ السَّادِسَةِ
وَالْعَشْرِينَ عَصْرًا جَدِيدًا مِنْ عَصْرِ
التَّقْدِيمِ وَالرِّخَاءِ، بَدَأَ بِسَمْتِكَ الْأَوَّلِ
وَبِذَلِكَ نِيخَاوُ مِنْ بَعْدِهِ كُلُّ الْجَهْدِ
لِلْوُصُولِ بِهِ إِلَى الْإِقْتِرَابِ مِنْ عَصْرِ
الْفَرَاعْنَةِ الْعِظَامِ، طَوَالَ حُكْمِهِ الَّذِي
دَامَ نَحْوَ خَمْسَةِ عَشَرَ عَامًا، وَمِنْ بَعْدِ
نِيخَاوِ جَلَسَ بِسَمْتِكَ الثَّانِي عَلَى الْعَرْشِ
فَوَاجَهَ خِلَالَ حُكْمِهِ الْقَصِيرِ الَّذِي لَمْ
يَتَعَدَّ أَعْمًا سِتَّةَ خَطَرَيْنِ كَبِيرَيْنِ تَمَثَّلَ
أَوَّلُهُمَا فِي سَيْطَرَةِ بَابِلَ عَلَى أَرْضِ
فِلَسْطِينَ وَتَهْدِيدِهَا لِأَمْنِ حُدُودِ الْبِلَادِ
الْشَّرْقِيَّةِ، بَيْنَمَا كَمَنَّ الْآخَرُ فِي
اسْتِعْدَادِ مَلُوكِ النُّوبَةِ لِلتَّقْدِمِ بِجِيُوشِهِمْ
صَوْبَ مَقَاطِعَاتِ مِصْرَ الْجَنُوبِيَّةِ، وَلَقَدْ
تَمَكَّنَ بِسَمْتِكَ الثَّانِي مِنْ تَأْمِينِ حُدُودِ

دَوْلَتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ بِانْتِصَارِهِ عَلَى جِيُوشِ
النُّوبَةِ، ثُمَّ اسْتَطَاعَ كَذَلِكَ أَنْ يَدَافِعَ عَنْ
حُدُودِهَا الشَّرْقِيَّةِ بِوُقُوفِهِ أَمَامَ غَارَاتِ
الْبَابِلِيِّينَ يَسَاعِدُهُ جُنُودُهُ الْيُونَانِيُّونَ
الَّذِينَ زَادَ الْاعْتِمَادُ عَلَيْهِمْ يَوْمًا مِنْ بَعْدِ
آخِرِ مَنْذُ أَنْ بَدَأَ بِسَمْتِكَ الْأَوَّلِ
الاسْتِعَانَةَ بِهِمْ.

فَقُلْتُ لَهُ: وَمَنْ الَّذِي تَلَا بِسَمْتِكَ
الثَّانِي فِي الْجُلُوسِ عَلَى عَرْشِ الْأَسْرَةِ

السادسة والعشرين يا «نيل»؟

فقال: جاء من بعده الملك أبريس ذلك الملك الطموح الذى أخذ يتطلع إلى أخبار فتوحات الفراعنة العظام أمثال تحتمس الثالث ورمسيس الثانى، فراح يقود أساطيل مصر عازماً على مد حدود دولته فى اتجاه الشرق، وعلى السواحل الشرقية للبحر المتوسط، اشتعلت بينه وبين مملكة بابل التى كانت تسيطر حينئذ على أرض فلسطين وسوريا عدة معارك كان النصر فيها إلى جانبه، إلا أنه سرعان ما عاد بجنوده اليونانيين إلى الغرب لمناصرة حلفائه الليبيين فى حروبهم الدائرة هناك، وهناك لحقت به هزيمة قاسية شجعت جنود مصر على الثورة ضده وضد جنوده اليونانيين الذين انفردوا بمواقع الصدارة فى جيوش البلاد.. تناصرهم جموع المصريين وقد ضاقوا بتدفق الأجانب المتزايد على بلادهم ومزاحمتهم لهم على طول

الدلتا والوادي، وبينما كان الملك وجنوده فى طريقهم عائدين إلى مصر، كان المصريون قد وضعوا أحمس الثانى أحد قادة جيوشهم على عرش الأسرة السادسة والعشرين، فدارت رحى الحروب بين الفريقين، أبريس وجنوده الأجانب فى جهة وأحمس الثانى وجنوده المصريين فى الجهة الأخرى، وبعد قتال عنيف حسم تفوق أعداد الجنود المصريين الحرب لصالح أحمس الثانى، بينما سقط أبريس قتيلاً فى ساحة المعركة بعد حكم دام عشرين عاماً.

فقلت له: وهل أكمل أحمس الثانى السير فى طريق الفتح والتوسع؟
فقال: لم يكن أحمس الثانى ليغامر بمستقبله بالدخول فى حروب خارجية وهو ذلك الملك الذى أجلسه على العرش ثورة كان سببها الأول تهوّد سلفه فى الدفع ببلاده إلى ساحات المعارك والحروب، لذا نجده بعد أن

تمكّن من وقف تقدم جيوش بابل التي
رأت في الحروب الداخلية فرصتها
للانقضاء واحتلال مصر، قد راح
يعقد معهم الصلح والمعاهدات ليتفرغ
بعد ذلك لأعمال التنظيم والتنمية، وهو

وإن كان قد ابتعد بالبلاد عن طريق
الفتح والتوسّع، فقد قدّم لها بعمله
الجاد المتواصل ومهارته الفذة في
الحكم والإدارة الكثير على طريق
التقدّم والرخاء يشهد له بذلك حسن
تصرفه مع جنود
اليونان وتجارها.

فقلت له: لا بد من
أنه قد منع دخول
تجار اليونان إلى
مصر بعدما قام
بطرده جنودها من
جيوشه.

فقال: لم يفعل
شيئاً من هذا، لأنه
لما رأى في تجارة
بلاده النشطة مع
اليونانيين مصدراً
من مصادر رخاء
مصر وثرائها لا يكون
ضياعه لأي سبب.



كاس ذهبية «عصر الأسرات المتأخرة»

من الأسباب إلا خطأ فادحاً، قام بتخصيص بضعة بلدان في الدلتا لتجار اليونان وغيرهم من الأجانب يقيمون ويمارسون فيها تجارتهم، وقد ضمن بذلك ازدهار الحياة في هذه البلدان واستمرار رواج التجارة المصرية، بجانب تجمع الأجانب في موضع واحد وبُعدهم عن الاصطدام بالمصريين الذين كان عددهم يومئذ يقارب سبعة ملايين ونصف المليون مصري.

فقلت له: وماذا تراه قد فعل مع

الجنود اليونانيين؟



فقال: لم يكن في استطاعة أحسن الثاني أن يطمئن إلى الاعتماد الكامل على الجنود المصريين الذين كانوا في معظمهم من أصل ليبي، حيث إن المصريين كانوا قد ابتعدوا عن أعمال الجندية منذ زمن بعيد، وكذلك لم يكن من الحكمة أن يتخلى عن جميع الجنود اليونانيين الذين اشتهروا بقدراتهم ومهاراتهم القتالية الفائقة وهو يسعى إلى تأمين حدود دولته من أي خطر خارجي، لذلك راح يستعين بهؤلاء الجند بالقدر الذي يضمن له الدفاع عن البلاد إذا ما تعرضت حريتها وسلامتها للخطر، ليركز جهوده بعد ذلك في أعمال السلم والتنمية. فقلت له: لا بد من أن بلادكم قد أصابت الكثير من التقدم في عهد ذلك الملك.

فقال: وصلت مصر خلال أعوام حكمه الاثنى والأربعين إلى قمة تطورها في عهد الأسرة السادسة.



والعشرين، يحملُ إليها
النهرُ مياهَهُ وطمْيَهُ
الخصيبَ فتُخْرِجُ لها
الأرضُ من الثمارِ ما
يملأُ أرجاءَها خيراً
ووفرةً تغري أهلها على
اتقانِ شتى أعمالِ
الصناعةِ لتنمو التجارةُ
وتزدهرُ صورُ الحياةِ
على طولِ الدلتا
والوادي.

فقلتُ له: لَقَدْ تَمَكَّنَ
ملوكُ الأسرةِ السادسةِ
والعشرينِ إِذْنُ من
استعادةِ قوةٍ وريادةٍ
مصرَ في عهدِ فراعنتِها
العظامِ، أليس كذلك؟

الغطاء الخارجي لأحد التوابيت «عصر الأسرات المتأخرة»

العظامُ، ولكنه كما كان إخفاقُ ملوكِ
الأسرةِ الخامسةِ والعشرينِ من قبلُ
في استعادةِ قوةِ البلادِ وريادتها وَسَطَ
أممٍ وأوطانٍ العالمِ بعدَ هزيمتهم أمامَ

فقال: لَقَدْ ارْتَدَّتْ مصرُ في عهدِ
الأسرةِ السادسةِ والعشرينِ من أثوابِ
الرقى والتحضُّرِ ثوباً كاد أن يماثلَ تلكَ
الأثوابِ التي نسجَ خيوطُها الفراعنةُ

جيوش الإمبراطورية الآشورية، كان إخفاق ملوك الأسرة السادسة والعشرين أمام الطوفان الفارسي.

فقلتُ له: لقد استطاع الملك كورش ملك فارس العظيم أن يقهر بابل ويسيطر على بلاد ما بين النهرين عام ٥٣٩ قبل الميلاد، ثم تمكن من مواصلة فتوحاته فراح يستولى على أراضي سوريا ولبنان وفلسطين، ليكون من الطبيعي بعد ذلك أن يتجه بهذه الفتوحات صوب أرض الفراعنة، ولكن متى وكيف وقع الصدام بينكم وبين الإمبراطورية الفارسية؟

كانت وفاة كورش عام ٥٢٩ قبل الميلاد سبباً لتأخر الصدام بعض الوقت، وبعد وفاته بأربعة أعوام توفى الملك أحمرس الثانى، فخلفه الملك بسمتك الثالث الذى ما كاد يجلس على عرش الأسرة السادسة والعشرين حتى كان قمبيز ملك فارس الجديد قد أتم استعدادَه لغزو مصر وراح ينتظر

بجيوشه على حدودها الشرقية من يطلعه على أمن طريق لاجتياز صحراء سيناء ويخبره بموقف جيوش البلاد ومواضع تحصيناتهم، وعندما علم كل ما يريد معرفته من أحد الجنود الأجانب الفارين من بين صفوف الجيش المصرى إلى معسكر جنود فارس، انطلق بجيوشه إلى شرقى الدلتا حيث استطاع إحراز الانتصار على جيوش بسمتك الثالث التى لم تجد أمامها سوى التراجع جنوباً للاحتماء بحصون منف، وأمام كثافة الجيوش الفارسية سقطت هذه الحصون ووقع بسمتك الثالث فى الأسر، لينتهى بحكمه الذى لم يدُم إلا بضعة أشهر حكم الأسرة السادسة والعشرين.

فقلتُ له: لقد سقطت بلادكم إذن ثمرة ناضجة فى سلة الفرس، كما سقط من قبلها الكثير من البلدان والإمارات.

وإخضاع شعبها لحكومة
الإمبراطورية الفارسية.
فنظر إلى نظرات غاضبة، ثم راح
يصرخ قائلاً: إننا أصحاب حضارة



الكساء الخارجى لإحدى المومياءات
«عصر الأسرات المتأخرة»

فقال: أجل يا أبتى، وعلى أثر
انتصار فارس على جيوش المصريين
خضعت قبائل الليبيين وبعض إمارات
الساحل الأفريقى للإمبراطورية
المنتصرة بغير قتال، لكن قمبيز لم
يكتف بذلك بل راح يتجه بجيوشه
إلى إقليم النوبة الذى سرعان ما
سقط بين يديه قبل أن يعود إلى
أرض الدلتا لينظم شئون البلاد،
ويعيد ترتيب إداراتها بما يحقق
صالح الإمبراطورية الفارسية،
ولأنه كان يريد لبلاد الفراعنة أن
تسمى مجرد إقليم تابع لحكومته
فى فارس، راح يتوعد إلى
المصريين ويتحائل على إرضائهم
بحمله القاب الفراعنة وتكوينه
لأسرة حاكمة جديدة هى الأسرة
السابعة والعشرون.

فقلت له: إنها سياسة حكيمة
لا بد وأن تكون قد ساعدت فى
تمكين قمبيز من احتلال مصر

يرجع زمنها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام، كنا نحيا حياة المدنية والتحضر في الوقت الذي كان فيه الفرس بضعة قبائل لا تجيد سوى حياة التجول وسط رمال الصحراء، فكيف إذن تظن أنهم قد يستطيعون يوماً بجيوشهم وقوتهم وحيلهم أن يخضعوا حضارة مصر لحكم وسلطان إمبراطوريتهم لمجرد أنهم قد تمكنوا من الانتصار على جيوشنا في إحدى المعارك؟!

فقلت له: لقد تفوقوا عليكم لأنهم أحسنوا العمل فكوّنوا من أبنائهم جيشاً عظيم العدد جيد التدريب في الوقت الذي اكتفيتهم فيه بالتمتع بإنجازات حضارتكم وثمار مدنيّتكم تاركين أمر الدفاع عن بلاد الفراعنة للجنود الأجانب.

فقال: قد يكون ذلك صحيحاً، لكن مصر التي استطاعت قهر الهكسوس والوقوف في وجه الحيثيين في عهد فراعنتها، وتمكّنت من تمصير الليبيين

وطرد جيوش الإمبراطورية الآشورية من أرضها بعد ذلك لم تكن أبداً لتخضع لحكم وسيطرة فارس.

فقلت له: وما الذي حدث إذن؟

فقال: ظلت فارس طوال مائة وعشرين عاماً تبذل محاولات المتكررة بالحيلة مرة وبالقوة مرات أخرى للسيطرة على مصر وإخضاع شعبها لسطوة وسلطان الإمبراطورية الفارسية، إلا أن شعب مصر لم يرض يوماً بغير الكفاح ضد سيطرة الغزاة الذين احتلوا أرضه واغتصبوا خيراتها، إلى أن كان له في نهاية الأمر الانتصار والتحرر.

فقلت له: لتقصّ على إذن جميع ماجرى لأرضكم طوال كل هذه الأعوام بشيء من التفصيل.

فقال: بعد أن انتهى قمبيز من تنظيم حكومته في مصر، وبينما كان في طريقه عائداً إلى سوس عاصمة بلاد فارس، لحقته الوفاة على أرض

سوريا، فتولّى من بعده دارا الأول حكم الإمبراطورية الفارسية وعرش الأسرة السابعة والعشرين فى منف، وفى الوقت الذى كان فيه الحكم ينتقل من قمبيز إلى دارا الأول كان نائب فارس فى منف قد أعلن التمرد والعصيان مستقلاً بحكم بلاد الفراعنة بعيداً عن حكام الإمبراطورية، لكن ذلك لم يستمر طويلاً إذ سرعان ما انطلق دارا الأول بجيوشه صوب مصر وتمكّن من دخول منف ومعاقبة المنفصلين، ليقضى بذلك على كل عصيان وتمرد.

فقلت له: وهل واصل دارا الأول سياسة قمبيز الحكيمة تجاه الشعب المصرى، بعد أن تمكّن من إنهاء التمرد.

فقال: بعد أن تمكّن دارا الأول من بسط سلطانه على أرض مصر، راح يعامل المصريين سكان هذه الأرض الغنية التى تحمل إلى عاصمة ملكه

ذهب الجزية، وتقدّم لإمبراطوريته أحسن منتجاتها وأبهى مصنوعاتِها بجانب فرق جيشها وسفن أسطولها العاملة فى خدمة جيوش فارس معاملة حسنة، لكنه رغم محاولته استرضاء شعب مصر وكهنّتها قد حرص على أن يُرسل بأمهر عمّالها وفنانيتها إلى سوس قبل أن يستغل مواردها وإمكانياتها فى إنجاز أعماله الضخمة، كربطه لجميع أقاليم إمبراطوريته الشاسعة بواسطة شبكة طرق تعتمد على شق قناة تصل ما بين نهر مصر والبحر الأحمر كمحور أساسى يربط ما بين شرق الإمبراطورية الفارسية وغربها.

فقلت له: ألم يقيم الملك نيخاو فى عهد الأسرة السادسة والعشرين بحفر هذه القناة يا «نيل»؟

فقال: لقد بدأ الملك نيخاو حفر هذه القناة، ورحل دون أن يستكمل العمل بها، فأتى دارا الأول حفرها كأحد أهم

أعماله العظيمة التي هدفت إلى بسط نفوذ وتقوية سلطان الإمبراطورية الفارسية، حتى يكون مجرد التفكير في الانفصال عنها أو الثورة على حكمها أمراً عسير المنال، لكن عهد ذلك الملك الفارسي الذي استمر نحو سبعة وثلاثين عاماً ما كاد يصل إلى نهايته حاملاً معه هزيمة جيوش الإمبراطورية في إحدى معاركها مع اليونانيين عام ٤٨٤ قبل الميلاد، حتى انتفضت براكين الثورة في مصر، تلقى بحمها على رؤوس الفرس أملاً في الاستقلال والتحرر، فلم يكن أمام أكذُر كذس ملك الإمبراطورية الجديد إلا أن يتوجه من فورهِ في مقدمة جيوشه صوب أرض الفراعنة قبل أن يفكر في محاولة النار من أعدائه اليونانيين، وعلى أرض الفراعنة تمكنت جيوش الفرس ببطشها وكثرة أعدادها من إخماد الثورة والقبض على إقليم إمبراطوريتهم الغني بالقهر والتعسف.

فقلت له: وهل عدتُم بعد ذلك إلى إعلان الثورة يا «نيل»؟
فقال: بعدما تمكّن أكذُر كذس من السيطرة على مصر، راح يعامل أهلها معاملة قاسية مستبدّة، ولكي يضمن عدم رجوعهم إلى الثورة مرة أخرى أخذ يخصّ الفارسيين بجميع مواقع الإدارة في البلاد، حتى أن أصغر الوظائف وأقلها أهمية قد أمست بين أيدي الفرس يتفنون من خلالها إلى اغتصاب كل ما تُتيح لهم من كنوز وثروات، مما أدّى إلى إفقار كافة صور الحياة في الدلتا والوادي وشجّع المصريين على معاودة الثورة بعد مرور ما يقرب من واحد وعشرين عاماً على ثورتهم الأولى مُعلنين الحرب على الإمبراطورية الفارسية التي رحل ملكها أكذُر كذس تاركاً العرش للملك أرتكذُر كذس الذي أسرع بجيوشه إلى مصر، وبعد مقاومة عنيفة استطاعت جيوش فارس إخماد الثورة



المصرية مرةً أخرى.
فقلتُ له: إذا كان
الفرسُ قد استطاعوا
إخمادَ ثورتِكُم هذه المرةَ
أيضاً، كيف كان
تحرُّركُم من حُكم
إمبراطوريتِهِم؟

فقال: ظلُّ أرتكذُرُ
كذسَ جالساً على عرشِ
الإمبراطوريةِ الفارسيةِ
مايقربُ من أربعين
عاماً، حتى إذا ما رحلَ
أطُلَّت الاضطراباتُ على
فارسَ بسببِ التنازعِ
حولَ العرشِ في سوسَ.
فقلتُ له: أجلُ أعلمُ

ذلك، فبعدَ رحيلِ أرتكذُرَ

رسم ملونة على الحجر «عصر الاسرات المتأخرة»

فقال: وفي عهدِ دارا الثانى ازدادَ
سخطُ المصريين على حكامِ الفرسِ
ملوكِ الاسرةِ السابعةِ والعشرين
ونوابِهِم فى منقِب، واشتدَّ إصرارُهُم

كذس تنازعَ إخوتَهُ حولَ العرشِ، لكنْ
ذلك التنازعُ سرعانَ ما انتهى بسيطرةِ
الملكِ دارا الثانى على مقاليدِ حُكمِ
فارسَ.

على التخلُّص من هؤلاء الغزاة
لاستعادة أرضهم وحرِّيَّتِهِمْ، فراحوا
يجمعون أسلحتهم وينظِّمون صفوفهم
إلى أن اندلعت في العام الرابع عشر
من حكم دارا الثاني نيرانُ الغضبِ
تحرَّق كلُّ ما هو فارسيٌّ على أرضِ
الفراعنة، واستمرت المواجهة ودار
القتال وتتابعَت المعارك طوال ستة
أعوامٍ كاملةٍ كُتِبَ لنا في نهايتها
النصرُ والتحرُّرُ من قيودِ الفرسِ ليتولَّى
أمونُ حرَّ أحدُ قادة الثورة ملكَ البلادِ
مؤسساً حكمَ أسرةٍ مصريةٍ جديدةٍ
هي الأسرة الثامنة والعشرون.

فقلتُ له: لهذا إذن تحتفظُ في
منزلك بكلِّ هذه الأسلحة؟

فقال: إنها بعضُ ما تبقى عندي ممَّا
كنتُ أجمعه لمساعدة جنودنا في
ساحات القتال، وكما ترى فالمعارك قد
انتهت وتولَّى حكمَ مصرَ واحدٌ من
أبنائها الذين سيسيرونها بها دون شكٍّ
إلى غدٍ يحملُ أمجادَ وعِزةَ مصرَ في

عهدِ الفراعنة.

وأخذ نيلٌ يطيلُ التحدُّثَ عن ذلك
الغدِ وما سوف يحمله من قوةٍ وتقدُّمٍ
لبلادِهِ التي خرجت لِتَوْهًا من حكمِ
الإمبراطوريةِ الفارسيةِ إلى حكمِ أمونِ
حرِّ مؤسسِ الأسرة الثامنة والعشرين
في سَائِسْ، وبعدَ أن انتهينَا من حديثنا
ذهبنا معاً إلى قصرِ الملكِ المصريِّ
الجديدِ لنشاركَ المصريين احتفالاتِهِمْ
التي ملأتْ طرقاتِ المدينةِ ودُرُوبَهَا، ثم
انطلقتُ خارجاً من مصرَ لأواصلَ
تجوُّلي وأتابعَ رحلاتي التي لا تنتهي،
ولكنني على الرغم من انشغالي
الشديدِ في مراقبةِ شئونِ وأخبارِ
أوطانِ الأرضِ وممالكِها لم أنسَ يوماً
ما قد سمعتهُ ورأيتُهُ خلالَ رحلتي
الأخيرةِ إلى بلادِكُم أسترجعُ كلَّ ما
جرى على أرضِها لأجدَ نفسي قد
رحتُ أتساءلُ: هل سيتمكَّنُ المصريون
من استعادةِ مكانةِ بلادِهِم وقوَّتها بعدَ
كلِّ ما مرَّ من أعوامٍ وما جرى من



نموذج لسفينة فرعونية

تغيّرات ١٩- لقد أخفق ملوك النوبة وكانوا الأقرب إلى عهود الفراعنة والأكثر قوة وثراء، وأخفق من بعدهم خلفاء بسمتك الأول على الرغم من جهودهم المخلصة وعملهم المتواصل، من يدري لعل ملوك الأسرة الثامنة والعشرين ينجحون الآن فيما فشل فيه ملوك الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين من قبل.

وهكذا حملت تساؤلاتي أطوف بها بين شرق العالم وغربه، إلى أن جاء عام ٢٤٢ قبل الميلاد، واستقرّ بي المقام لبعض الوقت في بلاد اليونان، وهناك على الشواطئ المطلّة على البحر المتوسط، فكّرت في أن أبعث إلى «نيل» بأحد البحارة العاملين على ظهر السفن اليونانية المسافرة إلى مصر، ليأتني إلى عند عودته برسالة من ذلك الفتى المصريّ تحمل سطورها جميع ما جرى في بلاد

الفراعنة طوال الأعوام السابقة، وأسرعت من قورى فنقذت الفكرة، وبقيت بعد ذلك أتابع عملى فى بلاد اليونان أنتظر فى شغب بالغ اليوم الذى يعود فيه البحار اليونانى حاملاً رسالة «نيل»، حتى جاء ذلك اليوم وتوقفت سفينة البحار على شواطئ اليونان، ليهبط كل من كان بها عند إقلاعها إلى مصر إلا رسولى إلى «نيل» الذى علمت بوفاته على ظهر سفينته قبل وصوله إلى أرض مصر، لكننى أيضاً علمت بقدوم أحد التجار المصريين على ظهر نفس السفينة، وما كدت أعلم بقدومه حتى أسرعت بالتوجه إليه متسائلاً: كيف تسير الأمور فى بلادكم؟

فالتفت إلى قائلاً: أية أمور تعنى؟ فقلت له: لقد شاهدت فى بلادكم منذ أكثر من ستين عاماً كيف استطعتم التخلص من حكم الإمبراطورية الفارسية، وكيف صار

حكم بلادكم فى يد الملك أمون حر مؤسس الأسرة الثامنة والعشرين، فما الذى حدث بعد ذلك؟

فقال: أجل، لقد أسس أمون حر الأسرة الثامنة والعشرين بعد أن نالت بلادنا الاستقلال والتحرر، لكن هذه الثورة التى كانت قد اندلعت ضد حكم الفارسيين خلقت وراءها أكثر من مركز للقوة والنفوذ فى مصر، فلم يستمر حكم أمون حر وأسرته سوى ستة أعوام، انتقل بعدها العرش من سايس إلى منديس^(١) حيث أسس الملك نيفريتس الأول حكم الأسرة التاسعة والعشرين وبعد مرور ستة أعوام أخرى رحل نيفريتس الأول ليسود التنازع على العرش لبعض الوقت قبل أن يتولى الملك أكوريس الحكم جالساً على عرش الأسرة التاسعة والعشرين مايقرب من اثنتى عشر عاماً، ومن بعده عادت الاضطرابات وساد

(١) تل الربع بمحافظة البحيرة.

التاسعة والعشرين في مَنَدِسْ خلال
مُدَّةٍ لا تتجاوزُ العشرين عاماً، أتعنى أن
حكمَ هاتينِ الأسرتينِ لم يَدُمَ أكثرَ من
ستةٍ وعشرين عاماً؟! وإذا كان هذا
هو ما حدث، فهل تمكَّنَ هؤلاءِ الملوكُ
من البعدِ ببلادِهِم عن سطوةٍ وسيطرةِ
الفرسِ الذين لا يَدُّ وأن يكونوا قد عادوا
إلى محاولةِ غزوِ مصر؟!

التنازعُ ليتولَّى الملكُ بِسَامُوْتِسْ الحكمَ
لعامٍ واحدٍ يليه الملكُ نَفَرِيْتِسْ الثاني
لبضعةِ أشهرٍ هي آخرُ عهدِ الأسرةِ
التاسعةِ والعشرين...

فقامطَعْتُهُ قائلاً: انتظر، تقولُ إن حكمَ
الأسرةِ الثامنةِ والعشرين في سَائِسْ
لم يَدُمَ سوى ستةِ أعوامٍ، بعدها جلسَ
بضعةُ ملوكٍ على عرشِ الأسرةِ



معابد فيلة

فقال: اقتصر دور ملوك الأسرتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين على تأمين حدود بلادهم من غارات فارس، التي راحت تعامل مصر بعد استقلالها كإقليم متمرد من أقاليم إمبراطوريتها الشاسعة، وقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد، على الرغم من أن أطولهم حكماً لم يجلس على العرش أكثر من اثني عشر عاماً. فقلت له: حسناً، ما الذي حدث بعد ذلك؟

فقال: بعد انتهاء حكم الأسرة التاسعة والعشرين تولى نَقَطَانِبُ الأول الحكم كأول ملوك الأسرة الثلاثين في سِينُوتِسْ وفي بداية عهده الذي دام نحو ثمانى عشر عاماً، استطاعت مصر أن تنجو من إحدى هجمات الفرس القوية عام ٣٧٤ قبل الميلاد، ثم راحت بعد ذلك تتنسم نسمات الاستقرار والتقدم حيث بدأ نَقَطَانِبُ الأول عهداً جديداً من عهود العمل

والتنظيم وتشيد المباني الضخمة الرائعة، فغمر البلاد بفيض من الأبنية الدينية العظيمة طلباً لرضا الكهنة وتأييدهم لعل أهمها ذلك المعبد الذي شيده لتقديس إيزيس وحتحور في فيلة.

فقلت له: لقد ساعده على التفرغ لأعمال البناء والتنظيم، ما كان من ضعف فارس وتفكك إمبراطوريتها في ذلك الوقت، أليس كذلك؟

فقال: بلى، لقد أصيبت فارس بعد فشل حملتها على مصر في بداية عهد نقطانب الأول بضعف شديد أغرى الملك تاخوس ثانى ملوك الأسرة الثلاثين على التطلع إلى مهاجمة الإمبراطورية الفارسية لإبعاد خطرهما عن البلاد بشكل نهائى ودائم، حتى أنه قد راح يكون جيشاً عظيماً من المصريين واليونانيين، ليبدأ به القتال في عام ٣٦٠ قبل الميلاد.

فقلت له: لقد استمعت إلى بعض

أخبار هذا القتال، لكننى لم أعلم إلى
اليوم الأسباب التى جعلته ينتهى بذلك
الشكل الغريب الذى انتهى به.

فقال: كان استعدادُ تَاخُوسَ
لخوضِ الحروبِ استعداداً سريعاً
صارماً، فبعد ما استنفد على تجهيزِ
الجيشِ كلُّ ما كان فى خزائنِ بلاده
من ذهبٍ وفضةٍ، لجأ إلى فرضِ
الضرائبِ على جميعِ طوائفِ الشعبِ
المصرى، مما أدّى إلى تزمُّرِ المصريين

وخاصةً كهنةُ المعابدِ أصحابُ النفوذِ
والقوةِ فى مصرَ من هذه الإجراءاتِ
الماليةِ القاسيةِ، وحينما بدأتِ المعاركُ
قاد تَاخُوسُ الجندَ الأجانبَ على ظهرِ
الأسطولِ المصرى فنجح فى تطويقِ
الساحلِ الشرقى للبحرِ المتوسطِ ليقطعَ
بذلك الطريقَ على أساطيلِ فارسَ،
بينما قاد نَقْطَانِبُ الثانى جندَ المصريين
فى البرِّ، فسار بهم عبرَ أراضى
فلسطينَ ولبنانَ إلى أرضِ سوريا



مسند للرأس «عصر الأسرات المتأخرة»

يتقدمون من نصرٍ إلى آخرٍ، وفي قمة الانتصارِ المصريِّ برأً وبحراً اندلعت الثورةُ علي حكم الملكِ تاخوسَ يقودها كهنةُ المعابدِ الذين سلبهم ذلك الملكُ الكثيرَ من أموالهم ومكانتهم قبل بدءِ الحروبِ، وعندما علمَ نقطانِبُ الثاني بأبناءِ اندلاعِ تلك الثورةِ، أسرعَ عائداً بجيوشه من ساحةِ المعركةِ في سوريا إلى سبئوتسَ حيثُ نُصبتُ الثورةُ ملكاً على البلادِ ليتخلى بعد ذلك الجندُ الأجانبُ عن الملكِ المخلوعِ وتضيعُ بنهايتهِ أضخمُ إنجازاتِ مصرَ منذُ استقلالها عن فارسَ.

فقلتُ له: لقد تَسَبَّيْتُمُ إِذْنٌ فِي ضِياعِ انتصاراتِكُم على الإمبراطوريةِ الفارسيةِ لأنكم لم تهتمُّوا بغيرِ شئونكم الداخليةِ، ولم تدركُوا حينها أن نجاحَ الملكِ تاخوسَ في هذه الحروبِ سيأمنُ لكم دونَ شكٍّ أعمالكم وأموالكم في الدلتا والوادي.

فقال: هذا هو ما حدث، وما كاد

الملكُ نقطانِبُ الثاني يتولَّى حكمَ البلادِ وينصرفُ إلى محاولةِ استرضاءِ كهنةِ المعابدِ الذين كانوا السببَ في جلوسه على العرشِ تاركاً أمرَ المواجهةِ والقتالِ، حتى راحت فارسُ تلممُ وحدةَ إمبراطوريتها وتستعيدُ سابقَ قوتها.

فقلتُ له: أجل، فبعد تولَّى الملكِ أوخوسَ عرشَ الإمبراطوريةِ الفارسيةِ أسرعَت هذه الإمبراطوريةُ في القضاءِ على تفكُّكِ أقاليمها، لتظهرَ من جديدٍ أكثرَ بطشاً وقوةً.

فقال: وقد حاولَ أوخوسُ استردادَ حكمِ مصرَ، لكن نقطانِبُ الثاني نجحَ





الكباش آمون «رسم على الحجر»

في التصديّ لحملته عام ٣٥١ قبل الميلاد، وحينما تركت مصرَ قادمًا إلى هنا كانت بلادنا تدخلُ في العام السابع عشرَ لحكم ملكها نبطانب الثاني، بينما الأنباءُ تأتي إليها تحملُ أخبارَ تجهيزِ أوخوس لحشودٍ عظيمةٍ على الأرضِ السوريةِ استعدادًا لمعاودةِ التوجّهِ إلى مصرَ.

وعلى الرغم من وفرةِ معلوماتِ ذلك المصريِّ ودقَّتْها، لم أجدُ أمامي بدءًا من معاودةِ تكليفِ أحدِ البحارةِ اليونانيين المتجهينَ إلى مصرَ بالذهابِ إلى «نيل»، ليعودَ إلى بالمزيدِ والمزيدِ من الأخبارِ والمعلوماتِ، وبعد مرورِ عدةِ أشهرٍ عادت السفنُ إلى شواطئِ اليونانِ وهبطَ من إحداها رسولٌ إلى «نيل»، فأسرعتُ تِجَاهَهُ قائلًا: هل تمكّنتَ من مقابلةِ «نيل»؟ وإن كنتَ قد



رحيلك عنها، ولم يَتَّبِقْ إلا أن تعلم أن
الملك نبطانب الثانى قد اكتفى
بتحصين حدوده شرقى الدلتا انتظاراً
لهجوم فارسى وشيك!

قابلته، أين ما..

فقاطعنى قائلاً: لقد تمكَّنتُ من
مقابلته بالفعل، لكننى ما إن تسلمتُ
منه الأوراقَ البرديةَ لأعودَ بها إليك،
حتى اضطربَ كلُّ شىءٍ على أرضِ
مصرَ، ودارتِ الحروبُ بين جيوشِ
الملكِ نبطانب الثانى من جهةٍ وجيوشِ
الملكِ الفارسى أوخوسَ من جهةٍ
أخرى، ووسَّطَ الذعرُ والفوضى التى
ملأتْ أرجاءَ البلادِ بعد هزيمةِ
المصريين شرقى الدلتا وتقدُّمِ جيوشِ
فارسَ صوبَ حصونِ مِثفٍ، التى
سرعانَ ما سقطت ليفرَّ الملكُ نبطانبُ
الثانى صوبَ النوبةِ تاركاً بلادهَ نهياً
لجنودِ الإمبراطوريةِ الفارسيةِ فقَدَتْ
جميعَ الأوراقَ التى أخذتها من «نيل»
إلا هذه الورقة.

وانصرفَ ذلك البحَّارُ اليونانىُّ من
أمامى بعد أن ألقى إلى بورقةٍ برديةٍ
واحدة كتب فيها «وهكذا أكونُ قد
أخبرتُك بجميعِ ماجرى فى مصرَ منذُ

أسمى «تاريخ»، وجدت منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض، معه عشت خطواته الأولى، وبين تجمعاته سعيت متنقلا من بلد إلى آخر، وطنى حيث يجد الإنسان فى العمل والإبتكار، لأراقب مسيرة أعماله، أحصى أخباره، وأدون إنجازاته يوما من بعد آخر وعاما تلو عام، تعددت زيارتى إلى كل أقطار العالم فكان لبلادكم نصيب وافر من هذه الزيارات، فيها شاهدت قيام أول حضارات الإنسان على أرضه، ولها سجلت الكثير من صفحات البطولات، وسجلات الإنجازات والرقى، واليوم وبعد كل هذه الأعوام الطوال أجلس بينكم لأحدثكم حديث مصر عبر الزمان نسترجع سويا أحداث رحلاتى إلى أرض النهر والأهرامات والحضارة.



حقوق التوزيع فى مصر والعالم محفوظة



للمكتب العربى المعارف

١٠ شارع الفريق محمد رشاد - خلف عمر أفندى

ميدان الحجاز - مصر الجديدة - القاهرة

ت: ٢٤٢١٥٢٦

الناشر



«نيل وتاريخ»

جميع حقوق الطبع والتوزيع مملوكة للناشر ويحظر النقل، أو الترجمة، أو الاقتباس من هذه السلسلة فى أى شكل كان جزئياً، أو كلياً بدون إذن خطى من الناشر، وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة إلى كل الدول العربية، وقد اتخذت إجراءات التسجيل والحماية فى العالم العربى بموجب الاتفاقيات الدولية لحماية الحقوق الفنية والأدبية.

شخصيتان ملك لمنشورات الغالى وهاتان الشخصيتان مسجلتان ومحفوظتان ولايجوز استخدامهما إلا بتصريح خاص من المالك
«منشورات الغالى»



فجر الحضارة	عصر وآشوا
عصر الدول	عصر وفارس
بناء الأهرامات	عصر البطلمية
غزو رجب شمس الأهرامات	ميلاد الإسكندرية
العصر الذهبي	السيارة دولة البطلمية
انتصار طيبة	بين روما والإسكندرية
تأسيس الامبراطورية	عصر الرومان
عصر التوحيد	عصر القبطية
الرحا مسرة	عصر البيزنطية
سقوط دولة الفراعنة	عصر الإسلام

الكتاب

Biblioteca Alexandrina



0308080